

تقرير صحفي للنشر

ندوة في "مركز الحوار العربي" في واشنطن مع السيدة مي الريحاني عن
"رؤية الأديب والمفكر اللبناني الراحل أمين الريحاني للعلاقات العربية الأمريكية"

نصيحة أمين الريحاني لأميركا والغرب:

التفاهم بين الشرق والغرب مستحيل ما لم تنعم الشعوب بالحرية والتحرر

لا يكاد يوم يمر دون أن نسمع عن مبادرة جديدة لإصلاح الشرق الأوسط أو لكسب عقول وقلوب الشعوب العربية والإسلامية وبناء جسر لمزيد من التفاهم مع الولايات المتحدة، وفي المقابل تتعالى أصوات أخرى منذ وقوع هجمات سبتمبر الإرهابية بسؤال لم يجد من طرحه إجابة شافية عليه وهو: لماذا يكرهوننا؟

وكان من أغرب المفارقات أن التعليق على ذلك السؤال وتلك المبادرات جاء في إطار ندوة نظمها "مركز الحوار العربي" في واشنطن مع السيدة مي الريحاني للحديث عن "رؤية الأديب والمفكر اللبناني الراحل أمين الريحاني للعلاقات العربية الأمريكية" كما طرحها منذ أكثر من سبعين عاماً. قدّم للندوة الأستاذ صبحي غندور مدير مركز الحوار بقوله: "الوراثة في الفكر والأدب هي قيمة مزدوجة للوارث والموروث، الوراثة في المواهب والقيم والأخلاق والإبداع هي نِعَم لمن ينقلها من جيل إلى جيل، وهي حالة معاكسة تماماً للوراثة في السياسة والمال". بهذه المقدمة رحّب بالسيدة مي الريحاني ابنة شقيق الأديب أمين الريحاني وأفراد عائلته الذين وصفهم بأنهم ورثة مشعل نور فكري وأدبي يتحملون مسؤولية الإضافة الحيوية له بعطائهم الفكري وحرصهم على صيانة الموروث الأدبي والفكري للراحل الكبير الذي كان من عظماء أديباء المهجر الذين حملوا مشعل الثقافة العربية إلى العالم الجديد، وكانت له رؤية خاصة للعلاقات العربية الأمريكية سبق بها عصره إلى حدّ أنها تشكّل نصيحة هامة الآن للعرب والغرب معاً.

عن تلك الرؤية تحدثت في ندوة مركز الحوار السيدة مي الريحاني وهي من مؤسسي جمعية أمين الريحاني في الولايات المتحدة ومستشارة لمعهد أمين الريحاني في واشنطن ونائبة لرئيس أكاديمية التربية والإنماء في أميركا.

قالت السيدة مي الريحاني إن عمّها كتب تسعة وخمسين كتاباً باللغتين العربية والإنجليزية خلال العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين فخطب القارئ العربي بلغته وندّد بما يحدّ من الحريات الفردية والجماعية من منظومة التقاليد الاجتماعية العربية، وكان نصيراً للتسامح الديني ورافعاً للواء الإصلاح والاستقلال والنهوض بمشروع قومي عربي يعكس رؤى وطموحات الشعوب العربية. وفي كتاباته باللغة العربية حملّ العرب مسؤولية الإصلاح السياسي والاجتماعي ووضع على عاتقهم مهمة العمل الجماعي

من أجل تحقيق الوحدة العربية. وعندما كتب أمين الريحاني باللغة الإنجليزية خاطب الغرب انطلاقاً من شعوره بالحضارة العربية المستندة إلى منظومة من القيم الروحية والأخوة الإنسانية والعدالة، وظهرت شجاعة الريحاني وهو يخاطب الغرب في مؤلفاته وكتاباته باللغة الإنجليزية في التحذير من مغبة سياسات الغرب غير العادلة وما كان يضمه من نوايا استعمارية وكان الغرب الذي يعنيه في أوائل القرن العشرين متمثلاً في إنجلترا وفرنسا كقوتين استعمارييتين بينما كانت الولايات المتحدة تستعد للقيام بدور جديد على الساحة السياسية الدولية. وحمل الريحاني الغرب مسؤولية مساندة وتشجيع منهج إصلاح في العالم العربي وحذر من مغبة سعي الغرب إلى عرقلة حركة الإصلاح العربية. ولأن أمين الريحاني وجد جذوره في الشرق وعاش وترعرع في أرض المهجر في الغرب كانت له رؤيته الثاقبة فيما يجب أن تكون عليه العلاقات بين الشرق والغرب وخاصة الولايات المتحدة فخاطب الجانبين معاً مؤكداً على أن من مصلحتهما أن يتفهم كل منهما الآخر فهماً متعمقاً، وعدم تجاهل أيٍّ منهما لأهمية الطرف الآخر، وضرورة التعامل بعدل وعلى قدم المساواة مع الآخر، وأدرك منذ بدايات القرن العشرين ضرورة قيام دولة عربية كبرى فاعلة يمكنها التعامل مع الغرب من موقع الند.

وقالت السيدة مي الريحاني إن الباحثين الذين درسوا فكر أمين الريحاني السياسي مثل الدكتور سهيل بشروئي والدكتور أمين ألبرت الريحاني والدكتور كريستوفر فاسيلوبولس انفقوا على أن معالم فكر الريحاني السياسية نبعث من إرث الأتئين من استبداد الحكم العثماني والحرمان من الحريات الفردية والجماعية وبسط السلطان على حساب العدل، وتجربة ثرية مع الحريات المتاحة في المجتمع الأمريكي خلال سنوات طويلة عاشها في نيويورك مع خلاصة منظومة القيم الأمريكية والتي سبر خلالها أيضاً أعماق الحياة المادية والممارسة الديمقراطية، وكذلك من شعور قومي عربي يتطلع بأمل إلى استثمار ما يوحد العرب في تحقيق حلمهم بقوميتهم فأصبح داعيةً للتحرك الاجتماعي والسياسي للعرب ووسيطاً سياسياً مستوعباً للهموم السياسية لمنطقة الشرق الأوسط ولللاقات العربية مع الغرب مع التركيز على العلاقات العربية الأمريكية.

وأشارت السيدة مي الريحاني في ندوة مركز الحوار إلى أن الخلفية السياسية الثلاثية الجذور للأديب الراحل أمين الريحاني كانت أساساً لما وصفته بتطلعاته السياسية المبنية على خمس ركائز هي التحرر، والعلمانية، والقومية والعلاقات العربية الأمريكية والشمولية الإنسانية.

الركيزة الأولى: التحرر

شعر الريحاني بوطأة الحكم العثماني واستبداده ولمس تناقض الديمقراطية الغربية مع سياسات دول الغرب إزاء الشعوب الأخرى متجسدة في مثال واضح هو وعد بلفور البريطاني بإقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، كما استشعر من خلال حياته على الأرض الأمريكية كيف تتشكل بعض

السياسات الأمريكية لإرضاء مصالح الشركات الكبرى، وخلص الريحاني من نظرتة الشاملة إلى أن المضطهدين منتشرون في العالم بشرقه وغربه ولذلك دعاهم إلى أن يستقيقوا ويصرخوا في وجه فراعنة العالم المعاصر. وخلال الحرب العالمية الأولى شعر أمين الريحاني من جديد بإمكان قيام حركة ثورية إسلامية تحررية يقودها قادة الفكر العربي الحديث وليست جماعة "تركيا الفتاه" ولا المتعصبون دينياً، وحمل الريحاني الغرب جانبا كبيرا من مسؤولية نجاح أو فشل تلك الحركة التحررية وكأنه كان يتنبأ بطبيعة الصراع السياسي والاقتصادي الذي شهده القرن الماضي وامتد إلى القرن الحالي بين الشرق والغرب.

الركيزة الثانية: العلمانية

نادى الريحاني بالفصل بين الدين والدولة اقتناعا منه بأن ذلك الفصل مرتبط بمفاهيم الحرية والعدالة والمساواة بينما يكون قيام الدول على أساس ديني مرتبطاً بأنظمة سياسية وممارسات اجتماعية لا تعترف بالعدل والمساواة بين الجميع، بالإضافة إلى أن الدول التي تربط الدين بالدولة لا توفر لمواطنيها الحقوق أو الفرص نفسها للجميع. وانبثقت دعوة الريحاني للعلمانية من تجربة استناد الإمبراطورية العثمانية إلى ارتباط الحكم بالدين وبالتالي فإن مقاومة العصبية الدينية تستدعي استبدال الحكم الديني بتيار علماني يساوي بين كل فئات المجتمعات العربية ويوفر حلاً اجتماعياً وسياسياً للأقليات في كل من تلك المجتمعات.

الركيزة الثالثة: القومية العربية

تعود جذور الشعور بالقومية العربية عند أمين الريحاني إلى زيارته لمصر ولقاءاته مع الإمام محمد عبده ثم مراقبته لحركة كمال أتاتورك ومتابعته لتطورات ثورة الشريف حسين إلى جانب تأثره بالحركات الإصلاحية والتربوية في كل من مصر و لبنان وسوريا. وعندما تعددت اللقاءات بين أمين الريحاني والملك عبد العزيز بن سعود رأى فيه الريحاني مثلاً للقيادة القادرة على تحقيق الطموحات الوجودية العربية. وكان الريحاني يحلم بوطن عربي قادر على مواجهة العثمانيين والاحتلال البريطاني والفرنسي للأرض العربية ثم مواجهة وعد بلفور البريطاني الذي تم تنفيذه على حساب حقوق الشعب الفلسطيني.

غير أن مفهوم الوعي القومي العربي عند أمين الريحاني لم يكن مجرد حلم وإنما خارطة طريق حقيقية لتحقيق ذلك الحلم من خلال أن يكون مبنياً على إطار قومي علماني وأن تكون الوحدة مبنية على الاحترام التام للتعددية ولحقوق الأقليات وبشرط ألا تتم تلك الوحدة إلا بعد عملية إصلاح تحرري وجذري.

الركيزة الرابعة: العلاقات العربية الأمريكية

من خلال كون أمين الريحاني مزدوج الجنسية فقد استطاع الجمع بين ثقافتين متباعدتين كل البعد فسخر حياته لهدف تحقيق التفاهم بين الشرق والغرب وخاصة بين العرب وأمريكا، فمن الناحية الفكرية أراد الريحاني تعريف الغرب على نظرات فلسفية بالغة العمق من خلال فيلسوف عربي رائع فترجم شعر "أبو العلاء المعري" إلى اللغة الإنجليزية، وعلى الجانب الآخر قدّم للقارئ العربي الفكر الأمريكي الذي تمثّل آنذاك في إيمرسون وثورو فترجم خلاصة أعمالهم الفكرية إلى اللغة العربية. ولم يكتف أمين الريحاني بالعمل على تعميق المعرفة الحضارية بين الشرق والغرب، وإنما أراد أن يعمل من الناحية السياسية على إقناع الولايات المتحدة بأهمية الدور العربي وحيوية المنطقة العربية انطلاقاً من شعوره بأنّ الولايات المتحدة ستحلّ محلّ بريطانيا وفرنسا كقوة دولية كبرى، ولذلك اهتم أمين الريحاني بمخاطبة الرأي العام الأمريكي والمتقنين والمتخصصين فركّز فيما بين عامي 1920 و1940 على الكتابة على صفحات النيويورك تايمز وإلقاء المحاضرات والخطب في الجامعات الأمريكية متنبئاً بأن الإقدام على تنفيذ وعد بلفور بإقامة وطن لليهود على أرض فلسطين سيجلب الصراعات وتتشب بسببه الحروب في الشرق الأوسط، وشرح في كتاباته كيف ستتدهور العلاقات بين العرب والغرب إذا قامت دولة إسرائيلية على حساب الشعب الفلسطيني وساندها الغرب. ومن اللافت للنظر أنّ أمين الريحاني أدرك أن المملكة العربية السعودية ستشكّل بؤرة الاهتمام الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط فعمل من البداية على الدفع باتجاه اعتراف الولايات المتحدة بالمملكة الناشئة وبناء علاقات سياسية واقتصادية مميزة مع المملكة العربية السعودية وكتب ثلاثيته المعروفة باللغة الإنجليزية عن الجزيرة العربية وملِكها الذي وحد قبائلها المتنازعة.

الركيزة الخامسة: الشمولية

أثر إيمان الريحاني العميق بمبدأي الحرية والسلام على اقتناعه بفكرة الشمولية التي تجمع بين ثلاثة مبادئ: الحرية، السلام، ووحدة الأديان، وأوصلته تلك الفكرة إلى الاقتناع بأنه من الصعب تخطّي النزعات القومية وكذلك من الصعب الوصول إلى تفاهم بين الشرق والغرب ما لم تتمتع الشعوب المستضعفة بالحرية وما لم يعمّ السلام جميع الشعوب كبيرها وصغيرها، قويّها وضعيفها، وما لم يعترف الغرب بتقارب الأديان ويتخلّى عن نظرتة النمطية السلبية إلى الإسلام، وما لم يقتنع الشرق بجدوى الدخول في حوار اقتصادي وسياسي وفكري فاعل مع الغرب.

وختمت السيدة مي الريحاني حديثها أمام حشد من العرب الأميركيين في ندوة "مركز الحوار":

بقي أن نعرف أنّ أمين الريحاني الذي سبق عصره برؤيته الثاقبة والذي أمضى سنوات عمره يتنقل فيها بين لبنان والدول العربية وبين أرض المهجر في الولايات المتحدة، قد بدأ حياته الأدبية بقراءة أعمال شكسبير وفيلسوف هوجو ثم غطت قراءاته طيفاً واسعاً من أعمال كبار المفكرين والأدباء والسياسيين لتشمل داروين وويتمان وفولتير وإيمرسون وبايرون، وقايض تعلّمه للغة العربية في لبنان بتدريس اللغة الإنجليزية ليعود إلى نيويورك ملماً باللغتين، فترجم بعض أعمال أبي العلاء المعري وشرع في الكتابة بانتظام في صحيفة الهدى الأسبوعية العربية ونشر أول كتابين له باللغة العربية في عامي 1902 و1903 ونشر كتابه بعنوان "الريحانيات" في عام 1910 وقدم نفسه به للقراء العرب كمفكر له رؤيته التقدمية، كما كانت روايته "كتاب خالد" أول رواية يكتبها عربي لبناني باللغة الإنجليزية في عام 1911. وبعد حياة حافلة بالإنتاج الأدبي والفكري توفي أمين الريحاني في عام 1940 وهو في الرابعة والستين من عمره، ولكن رؤيته لما يجب أن تكون عليه العلاقات بين الشرق والغرب ستظل نصيحة صالحة للتطبيق.

(تقرير من إعداد: م. ش. - واشنطن)

تتأكد أهمية تجربة "مركز الحوار" وفوائدها العديدة من خلال تشجيع أسلوب الحوار بين العرب من جهة وبين العرب والمجتمع الأميركي من جهة أخرى، وذلك عبر أنشطة (باللغتين العربية والإنجليزية) تشمل مطبوعات دورية وموقعا هاما على الإنترنت، إضافة إلى ندوات أسبوعية بلغ عددها 542 ندوة حتى نهاية العام 2003، شملت ميادين الفكر والثقافة والسياسة والعلاقات العربية الأميركية. لمزيد من المعلومات عن "مركز الحوار العربي" في واشنطن:

<http://www.alhewar.com>

AL-HEWAR CENTER

MAILING ADDRESS: P.O. Box 2104, Vienna, Virginia 22180 - U.S.A.

Telephone: (703) 281-6277 Fax1: (703) 281-0528 Fax2: (775) 854-9846

E-mail: alhewar@alhewar.com